

التعليقات على البردة



إعداد
د. عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص . ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن ميمية البوصيري – المعروفة بالبردة – من أشهر المدائح النبوية وأكثرها ذيوعًا وانتشارًا، ولذا تنافس أكثر من مائة شاعر في معارضتها، فضلًا عن المشطِّرين والمخمِّسين والمسبِّعين، كما أقبل آخرون على شرحها وتدريسها، وقد تجاوزت شروحها المكتوبة خمسين شرحًا، فيها ما هو محلى بماء الذهب! وصار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن.

يقول الدكتور زكي مبارك: وأما أثرها في الدرس، فيتمثل في تلك العناية التي كان يوجهها العلماء الأزهريون إلى عقد الدروس في يومي الخميس والجمعة لدراسة حاشية الباجوري على البردة، وهي دروس كانت تتلقاها جماهير من الطلاب، وإنما كانوا يتخيرون يومي الخميس والجمعة، لأن مثل هذا الدرس لم يكن من المقررات فكانوا يتخيرون له أوقات الفراغ. [المدائح النبوية، ص١٩٩] .

وقد أطلق البوصيري على هذه القصيدة: «البردة» من باب المحاكاة والمشاكلة للقصيدة الشهيرة لكعب بن زهير ﵁ في مدح رسول الله ﷺ؛ فقد اشتهر أن النبي ﷺ أعطى كعبًا بردته حين أنشد القصيدة – إن صح ذلك –، فقد ادعى البوصيري – في منامه – أن النبي ﷺ ألقى عليه بردة حين أنشده القصيدة!!

وقد سمى البوصيري هذه القصيدة بـ «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، كما أن لهذه البردة اسمًا آخر هو البرأة؛ لأن البوصيري كما يزعمون برئ بها من علته، وقد سميت كذلك بقصيدة الشدائد؛ وذلك لأنها – في زعمهم – تقرأ لتفريج الشدائد وتيسير كل أمر عسير، وقد زعم بعض شراحها أن لكل بيت من أبياتها فائدة؛ فبعضها أمان من الفقر، وبعضها أمان من الطاعون. [المدائح النبوية، ص١٩٧] .

يقول محمد سيد كيلاني -أثناء حديثه عن المخالفات الشرعية في شأن البردة -: ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة، بل وضعوا لقراءتها شروطًا لم يوضع مثلها لقراءة القرآن،منها: التوضؤ، واستقبال القبلة، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، وأن يكون القارئ عالمًا بمعانيها، إلى غير ذلك.ولا شكَّ في أن هذا كله من اختراع الصوفية الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس، وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراء البردة، كانت تُستدعى في الجنائز والأفراح، نظير أجر معين. [مقدمة ديوان البوصيري: ٢٩، ٣٠] .

وأما عن مناسبة تأليفها فكما قال ناظمها: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني خِلْط فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة، فعملتها، واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وكررت إنشادها، وبكيت ودعوت، وتوسلت ونمت، فرأيت النبي ﷺ، فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت فيّ نهضة؛ فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحدًا، فلقيني بعض الفقراء، فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ، فقلت: أيّها؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها، وقال: والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ، فرأيت رسول الله ﷺ يتمايل وأعجبته، وألقى على من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك، وشاع المنام. [فوات الوفيات: ٢/٢٥٨] .

ففي هذه الحادثة تلبّس البوصيري بجملة من المزالق والمآخذ، فهو يستشفع ويتقرب إلى الله تعالى بشرك وابتداع وغلو واعتداء، كما سيأتي موضحًا إن شاء الله.

ثم ادعى أنه رأى النبي ﷺ دون أن يبيّن نعته؛ فإن من رأى النبي ﷺ حسب صفاته المعلومة فقد رآه، فإن الشيطان لا يتمثل به -كما ثبت في الحديث-.

ثم ادعى أن النبي ﷺ مسح على وجهه وألقى عليه بردة، فعوفي من هذا الفالج، فتحققت العافية بعد المنام دون نيل

البردة! ثم التقى البوصيري - في عالم اليقظة - بأحد المتصوفة وأخبره بسماع القصيدة بين يدي الرسول ﷺ، وأن الرسول ﷺ تمايل إعجابًا بالقصيدة، وهذا يذكرنا بحديث مكذوب بأن النبي ﷺ تواجد عند سماع أبيات حتى سقطت البردة عن منكبيه وقال: ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب.

قال شيخ الإسلام: إن هذا الحديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله ﷺ وسنته وأحواله. [مجموع الفتاوى: ١١/ ٥٩٨].

وأما عن استجابة دعاء البوصيري مع ما في قصيدته من الطوامّ، فربما كان لاضطراره وعظم فاقته وشدة إلحاحه السبب في استجابة دعائه.

يقول شيخ الإسلام: ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة أن الرجل منهم قد يكون مضطرًا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصدق توجهه إلى الله، وإن كان تحري الدعاء عند الوثن شركًا، ولو استجيب له على يد المتوسل به، صاحب القبر أو غيره لاستغاثته، فإنه يعاقب على ذلك ويهوي به في النار إذا لم يعفُ الله عنه، فكم من عبد دعا دعاء غير مباح، فقضيت حاجته في ذلك الدعاء، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة. [اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ٦٩٢].

وأما عن التعريف بصاحب البردة فهو: محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلى بلدته أبو صير بين الفيوم وبني سويف بمصر، ولد سنة ٦٠٨هـ، واشتغل بالتصوُّف، وعمل كاتبًا مع قلة معرفته بصناعة الكتابة، ويظهر من ترجمته وأشعاره أن الناظم لم يكن عالمًا فقيهًا، كما لم يكن عابدًا صالحًا؛ حيث كان ممقوتًا عند أهل زمانه لإطلاق لسانه في الناس بكل قبيح، كما أنه كثير السؤال للناس، ولذا كان يقف مع ذوي السلطان مؤيدًا لهم سواء كانوا على الحق أم على الباطل.

ونافح البوصيري عن الطريقة الشاذلية التي التزم بها، فأنشد أشعارًا في الالتزام بآدابها، كما كانت له أشعار بذيئة يشكو من حال زوجه التي يعجز عن إشباع شهوتها!

توفي البوصيري سنة ٦٩٥هـ وله ديوان شعر مطبوع.

وسنورد جملة من المآخذ على تلك البردة التي قد تعلق بها كثير من الناس مع ما فيها من الشرك والابتداع. والله حسبنا ونعم الوكيل.

١ - يقول البوصيري:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم

ولا يخفى ما في عَجُز هذا البيت من الغلو الشنيع في حق نبينا محمد ﷺ، حيث زعم البوصيري أن هذه الدنيا لم توجد إلا لأجله ﷺ، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وربما عوّل أولئك الصوفية على الخبر الموضوع: لولاك لما خلقت الأفلاك. [السلسلة الضعيفة: ١/ ٢٩٩].

٢ - قال البوصيري:

فاق النبيين في خَلق وفي خُلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

أي أن جميع الأنبياء السابقين قد نالوا والتمسوا من خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ، فالسابق استفاد من اللاحق! فتأمل ذلك وقارن بينه وبين مقالات زنادقة الصوفية، كالحلاج القائل: إن للنبي نورًا أزليًا قديمًا كان قبل أن يوجد العالم، ومنه استمد كل علم وعرفان؛ حيث أمدّ الأنبياء السابقين عليه.. وكذا مقالة ابن عربي الطائي أن كل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي يأخذ من مشكاة خاتم النبيين.

٣ - ثم قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

يقول **الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب** - رحمهم الله - منتقدًا هذا البيت: ومن المعلوم أن أنواع الغلو كثيرة، والشرك بحر لا ساحل له، ولا ينحصر في قول النصارى؛ لأن الأمم أشركوا قبلهم بعبادة الأوثان وأهل الجاهلية كذلك، وليس فيهم من قال في إلهه ما قالت النصارى في المسيح - غالبًا -: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث

ثلاثة، بل كلهم معترفون أن آلهتهم ملك لله، لكن عبدوها معه لاعتقادهم أنها تشفع لهم أو تنفعهم فيحتج الجهلة المفتونون بهذه الأبيات على أن قوله في منظومته: «دع ما ادعته النصارى في نبيهم» مَخْلَصٌ من الغلو بهذا البيت، وهو قد فتح ببيته هذا باب الغلو والشرك لاعتقاده بجهله أن الغلو مقصور على هذه الأقوال الثلاثة. [الدرر السنية: ٩/ ٨١].

لقد وقع البوصيري وأمثاله من الغلاة في لبس ومغالطة لمعنى حديث النبي ﷺ: **«لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»** [البخاري: ح/ ٢٤٤٥]، فزعموا أن الإطراء المنهي عنه في هذا الحديث هو الإطراء المماثل لإطراء النصارى ابن مريم وما عدا ذلك فهو سائغ مقبول، مع أن آخر الحديث يردّ قولهم؛ فإن قوله - عليه الصلاة والسلام -: **«إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»** تقرير للوسطية تجاه رسول الله ﷺ، فهو عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذب، والمبالغة في مدحه تؤول إلى ما وقع فيه النصارى من الغلو في عيسى - عليه السلام -، وبهذا يُعلم أن حرف الكاف في قوله ﷺ: «كما أطرت» هي كاف التعليل، أي كما بالغت النصارى. [القول المفيد: ١/ ٣٧٦].

ويقول ابن الجوزي: في شرحه لهذا الحديث: لا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه، لأنَّا لا نعلم أحدًا ادعى في نبينا ما ادعته النصارى في عيسى - عليه السلام - وإنما سبب النهي فيما لم يظهر ما وقع في حديث معاذ بن جبل لما استأذن في السجود له فامتنع ونهاه؛ فكأنه خشي أن يبالغ غيره بما هو فوق ذلك فبادر إلى النهي تأكيدًا للأمر. [فتح الباري: ١٢/ ١٤٩].

٤ - وقال أيضا:

لو ناسبت قدره آياته عظمًا أحيا اسمه حين يُدعى دارس الرمم

يقول بعض شرّاح هذه القصيدة: لو ناسبت آياته ومعجزاته عظم قدره عند الله - تعالى - وكل قربه وزلفاه عنده لكان من جملة تلك الآيات أن يحيي الله العظام الرفات ببركة اسمه وحرمة ذكره. [غاية الأماني: ٢/ ٣٤٩].

يقول الشيخ محمود شكري الألوسي منكرًا هذا البيت: ولا يخفى ما في هذا الكلام من الغلو؛ فإن من جملة آياته ﷺ القرآن العظيم الشأن؛ وكيف يحل لمسلم أن يقول: إن القرآن لا يناسب قدر النبي ﷺ بل هو منحط عن قدره ثم إن اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنى إذا ذكرها الذاكر لها تحيي دارس الرمم؟ [غاية الأماني: ٢/ ٣٥٠].

٥- وقال أيضا:

لا طيب يعدل تربًا ضم أعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقد جعل البوصيري التراب الذي دفنت فيه عظام رسول الله ﷺ أطيب وأفضل مكان، وأن الجنة والدرجات العلا لمن استنشق هذا التراب أو قبّله، وفي ذلك من الغلو والإفراط الذي يؤول إلى الشرك البواح، فضلًا عن الابتداع والإحداث في دين الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ﷺ ولا يقبله، وهذا كله محافظة على التوحيد.

٦- ثم قال:

أقسمتُ بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم

ومن المعلوم أن الحلف بغير الله تعالى من الشرك الأصغر؛ فعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». [أحمد والترمذي].

وقال ابن عبد البر – رحمه الله –: لا يجوز الحلف بغير الله – عزَّ وجلَّ – في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه.. إلى أن قال: أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها، لا يجوز الحلف بها لأحد.

٧- قال البوصيري:

ولا التمست غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مستلم

فجعل البوصيري غنى الدارين مُلتَمسًا من يد النبي ﷺ مع أن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

٨ – قال البوصيري:

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

وهذا تخرُّص وكذب، فهل صارت له ذمة عند رسول الله ﷺ لمجرد أن اسمه موافق لاسمه؟! فما أكثر الزنادقة والمنافقين في هذه الأمة قديمًا وحديثًا الذين يتسمون بمحمد!

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله – تعقيبًا على هذا البيت: قوله: فإن لي ذمة.. إلى آخره» كذب على الله وعلى رسوله ﷺ فليس بينه وبين اسمه محمد ذمة إلا بالطاعة، لا بمجرد الاشتراك في الاسم مع الشرك. [تيسير العزيز الحميد: ص٢٢].

فالاتفاق في الاسم لا ينفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة.

٩ – وقال البوصيري:

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

والشاعر في هذا البيت ينزل الرسول منزلة رب العالمين؛ إذ مضمونه أن الرسول ﷺ هو المسؤول لكشف أعظم الشدائد في اليوم الآخر، فانظر إلى قول الشاعر، وانظر في قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

ويزعم بعض المتعصبين للقصيدة أن مراد البوصيري طلب الشفاعة؛ فلو صح ذلك فالمحذور بحاله، لما تقرر أن طلب الشفاعة من الأموات شرك بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

﴿يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]،فسمى الله تعالى اتخاذ الشفعاء شركًا. [الدرر السنية: ٩/ ٤٩].

١٠ - وقال:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

يقول الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله -تعقيبًا على هذا البيت-: فتأمل ما في هذا البيت من الشرك.

منها: أنه نفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث إلا النبي ﷺ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا هو.

ومنها: أنه دعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية. [تيسير العزيز الحميد: ص ٢١٩، ٢٢٠].

وانتقد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب هذا البيت قائلًا: فعظم البوصيري النبي ﷺ بما يسخطه ويحزنه؛ فقد اشتد نكيره ﷺ عما هو دون ذلك كما لا يخفى على من له بصيرة في دينه؛ فقصر هذا الشاعر لياذه على المخلوق دون الخالق الذي لا يستحقه سواه؛ فإن اللياذ عبادة كالعياذ، وقد ذكر الله عن مؤمني الجن أنهم أنكروا استعاذة الإنس بهم بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن:٦]، أي طغيانًا واللياذ يكون لطلب الخير، والعياذ لدفع الشر، فهو سواء في الطلب والهرب. [الدرر السنية: ٩/ ٨٠].

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - عن هذا البيت: فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله ﷺ، وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله ﷺ. إنا لله وإنا إليه راجعون.

١١- وقال البوصيري:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:

سؤاله منه أن يشفع له في قوله: ولن يضيق رسول الله.. إلخ، هذا هو الذي أراده المشركون ممن عبدوهم وهو الجاه

والشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك، وأيضًا فإن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله، فلا معنى لطلبها من غيره؛ فإن الله تعالى هو الذي يأذن للشافع أن يشفع لا أن الشافع يشفع ابتداءً. [تيسير العزيز الحميد: ص ٢٢٠].

١٢- وقال أيضا:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي ﷺ وإفضاله، والجود هو العطاء والإفضال؛ فمعنى الكلام: أن الدنيا والآخرة له ﷺ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣]. [الدرر السنية: ٤٩].

وقوله: «ومن علومك علم اللوح والقلم». في غاية السقوط والبطلان؛ فإن مضمون مقالته أن الرسول ﷺ يعلم الغيب، وقد قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، والآيات في هذا كثيرة معلومة. [الدرر السنية: ٩/ ٥٠].

وأخيرًا أدعو كل مسلم عَلِقَ بهذه القصيدة وولع بها أن يشتغل بما ينفع؛ فإن حق النبي ﷺ إنما يكون بتصديقه فيما أخبر، واتباعه فيما شرع، ومحبته دون إفراط أو تفريط، وأن يشتغلوا بسماع القرآن والسنة والتفقه فيهما، فإن البوصيري وأضرابه استبدلوا إنشاد وسماع هذه القصائد بسماع القرآن والعلم النافع، فوقعوا في مخالفات ظاهرة ومآخذ فاحشة.

وإن كان لا بد من قصائد ففي المدائح النبوية التي أنشدها شعراء الصحابة رضي الله عنهم كحسان وكعب بن زهير ما يغني ويكفي.

اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد.